

الجنون ظاهرة أدبية لها أكثر من وجه

جماعي يحمل عنوان "خطاب الجنون في التراث العربي والغربي.. مقاربات لغوية وثقافية".

ويجمع هذا الكتاب، الذي يقع في 293 صفحة من الحجم المتوسط، فضلا عن جرائه واختياره الإيجابي، دراسات علمية تتطرح أكاديميا خطاب الجنون مقاربات لغوية وثقافية يوظفها منهج علمي يضمن الناقد والإضافة للإحاطة بالمسألة من العديد من النواحي.

ويتضمن الكتاب دراسات قيمة موزعة على أربعة محاور، وهي المقاربة الأدبية، والمقاربة اللسانية النفسية، والمقاربة السوسولوجية والفلسفية، والمقاربة الدينية والقانونية. ويتجاوز الكتاب التعاطي الضيق مع الموضوع، حيث وظف في نطاق واسع العديد من وسائل النظر التي تكاملت كشفاً للقضايا المختلفة لخطاب الجنون.

ولم تنوع هذه الدراسات فقط على مستوى مقارباتها، بل مزجت بين العرض النظري والتحليل التطبيقي للنصوص والبحث الميداني القائم على الاستجواب والمقابلة. كما أن هذه الدراسات اتسمت بطرافتها وجدتها، حيث عملت على إبراز جملة من الجوانب التي كانت مغفلة أو غير مطروقة في الموضوع مثل العاشقات/ المجنونات، العلاقة بين الجنون والصمت، المدخل السيميائي في تحليل خطاب الجنون، الجنون وتلقي الأدب، وغيرها.

مراكش (المغرب) - يبدو تاريخ الكتابة الأدبية العالمية حافلا بالأسماء التي ظل بطاردها الجنون، بمختلف أنواعه، ومنهم من قضى جزءاً من حياته داخل المستشفيات العقلية، ومنهم من عرف عنه اضطرابه العقلي لكنه استمر في الكتابة والعطاء.

أسماء أدبية عالمية كثيرة أصابها الجنون من بينها أونطوان ارتو وتهيوأته، موباسون وألمه العصبي، نيرفال وهوسيه الحاد، مارسيل بروست وزهايه، ورامبو وهلوساته.

وفي الكثير من الأحيان، كانت لحظات الجنون تُعنى القدرة على الكتابة. ويقر الشاعر والباحث المغربي حسن الوزاني أن ملامح الجنون تطبع الكثيرين من الأدباء، سواء من خلال طقوسهم أو تصرفاتهم، أو أحيانا من خلال نصوصهم،

مع اختلاف الدرجات، بين من يستثمر جرعة الجنون في حدودها الدنيا ومن يقطع نهائيا الخيط الفاصل بين العقل والجنون، وصنف ثالث يذهب إلى حد القطع مع الحياة، تماما كما فعلت الكاتبة العراقية حياة شرارة، حيث توفيت انتحارا هي وابتنتها مها باستنشاق الغاز.

ويذكر الوزاني الكاتب الراحل محمد شكري، الذي غادر مستشفى الأمراض العقلية ليستأنف مسار الكتابة دون أن يتخلص من بعض الجنون الذي شكل في الكثير من الأحيان طريقته في أن يكون كما هو.

وهناك عدة كتب ألفت في رصد ظاهرة الجنون والمجانين نكرها كل من ابن النديم وحسن بن محمد النيسابوري، وأكد الأخير سماعه كتباً عاش مؤلفوها في القرن الثالث للهجري وهي مفقودة الآن؛ حيث قال "وكنيت في حداثة سني سمعت كتابا في هذا الباب، مثل كتاب الجاحظ (ت 255هـ) وكتاب ابن أبي الدنيا (ت 281هـ)، وأحمد بن لقمان، وأبي علي سهل بن علي البغدادي".

ويعني هذا الكلام أن للأدب العربي الجاحظ كتابا خاصا بالمجانين الذين ما كان لهم أن يغيبوا عن دائرة رصده خصوصا أن أسرته تحفظت على الكثير ما عليها بالضرورة، وتتحرك الأحداث في اتجاه التذمير على تحركات البطل وإبرازه كمرکز أوحده، وما إلى ذلك من إشارات لا تتسق مع شروط الدراما وضوابطها.

من الصعوبة تقبل تقديم شخص نجيب محفوظ، وهو صانع الشخصيات البشرية المعقدة المحبوبة، بوصفه وجها ملامئيا لا يحيد عن الصراط كما أنه لن يكون متاحا لإدراج سلوكيات شخصية أو حتى معارك فكرية وأدبية تظهره في موضع غير لائق أو خاسر.

وهنا فالمرجح الآمن هو تهميش الشخصي والحياتي، واستبعاد كتب المنكرات والاعترافات ومجالس شلثة الحرافيش والحوارات الصحافية التي أجراها، وغيرها من الأوراق التي ترصدت محفوظ، الكائن البشري، خصوصا أن أسرته تحفظت على الكثير من هذه المؤلفات، ووصفتها بعدم الدقة، وأنها تقدم آراء محفوظ وترسم ملامحه بصورة خاطئة مجتزأة.

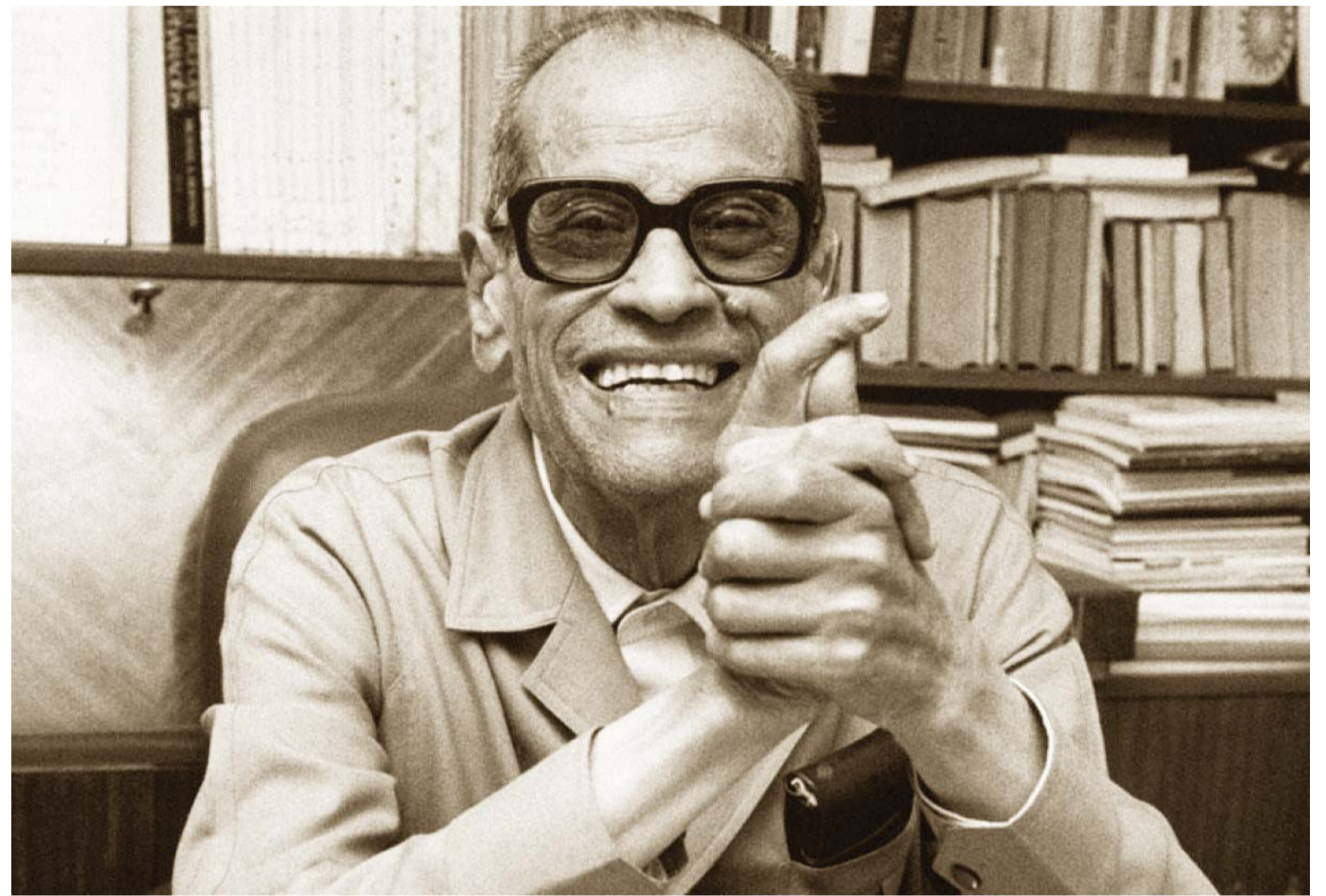
لعل المدخل الأنسب لرسم شخصية محفوظ، الذي حرره الفن من قيود الوظيفة والعمل الحكومي في وزارات مختلفة، هو أدبه بالتأكيد، وشخصياته المتناقضة التي تحمل تاملاته العميقة. كما أن الأسلوب المنطقي في تتبع حياة الشخصية دراميا لا يبدو مناسباً بالمرّة في حالة نجيب محفوظ، صاحب الرحلة الطويلة التي لا يمكن أن يتسع لها عمل درامي، واختزال رحلته في لحظة معينة، ولو فارقة، مثل حصوله على نوبل عام 1988، أو تعرضه لحادث الاعتداء الغاشم الذي كاد يؤدي بحياته عام 1994، سيخل بثراء الشخصية وعمقها، ويقصر العمل على زوايا محدودة دون غيرها.

وتحيل هذه الملابس كلها إلى أن الإسقاطات من خلال شخصياته وأعماله هي الأنسب لتقديم شخصيته الأدبية والإنسانية، في حين تبقى علاقاته الأسرية والاجتماعية مبسطة وفي إطار طبيعي هادئ، بشكل غير بعيد الصلة عما جرى تجسيده في الأفلام التسجيلية التي تناولت تجربته، وظهر فيها أصدقاؤه الحقيقيون وأفراد عائلته بكلمات قليلة معبرة في الهامش، في حين احتلت أفكاره وإبداعاته وشخصياته وأمكنته الروائية المتن الحضي الكاشف لعالمه وذاته في أن.

ويبقى الرهان معقودا على ثقافة كاتب السيناريو ووعيه ونكاته في التقاط نقاط حساسة، ليس مهماً أن تكون كثيرة، بقدر ما يجب أن تكون نافذة ومؤثرة في استدعاء جوهر شخصية محفوظ.

سيرة نجيب محفوظ تداعب مؤلفي الدراما

هل سينجح أحمد حلمي في تجسيد شخصية أديب نوبل



الدراما قد تشوه شخصية محفوظ

كانها مصيرية أو بطولية أو فوقية، دال، يتفق فيه الطرفان، ويمكن النقطة من بين ثنايا السطور. ففي تصريحها لـ "العرب"، أكدت ابنته أم كلثوم حرصها على إظهار وجهه من وجوه محفوظ، هو وجه الجسارة والإقدام، نافية الاتهامات التي وصفته بأنه لم يكن جريئا على مستوى المعارضة السياسية في كتاباته الإبداعية وأرائه الشخصية، وذكرت أنه بالنسبة إلى كتاباته الأدبية "يكفي أن هناك نقادا يدركون جرأة طرحه السياسي في روايات من قبيل: الكرنك، ثرثرة فوق النيل، ميرامار، وغيرها".

أما بالنسبة إلى كتاباته الأدبية "يكفي الشخصية، فقد كان محفوظ جريئا في الانتقاد، ولديه الشجاعة لقول ما يؤمن به بوضوح، ودعا إلى السلام ميكر في زمن الحرب، وقدم آراء سياسية صادمة على غير هوى حكام مصر والعرب. وقال بعد هزيمة 1967 في لقاء له بالأهرام مع العقيد الليبي الراحل معمر القذافي "فلنجرّب السلام"، وهنا اتهمه القذافي بالجنون. كذلك وقف محفوظ موقفا معارضا لحالة اللاسلم واللاحرب، وطالب بانتخابات وتعددية سياسية في عهد عبدالناصر، وتكررت مثل هذه المواقف كثيرا.

بدوره، فإن عبدالرحيم كمال كثيرا ما أثنى على هذا الوجه الجريء تحديدا في أعمال محفوظ، وفي إحدى تغريداته كتب موضحا "ليس هناك كاتب في مصر تمكن بكل ذوق وأدب من كسر التابوهات الثلاثة: الدين والجنس والسياسة، إلا نجيب محفوظ، الذي كسرها برشاقة واقتدار".

سبل النجاة

اتفق الطرفان المعنيان على أن إبداعية محفوظ المجردة، وجرأته المغبونة، هما محورا العمل الدرامي الذي سيتناول تجربته، لكن كيف سيكون العمل حال كتابته وتصويره وإنتاجه وخروجه إلى النور؟ وهل سيمضي حُرًا جسورا بغير محاذير وحساسيات؟ وما سبل نجاة شخصية نجيب محفوظ من عبوب تجسيد المشاهير دراميا، التي أفستت العشرات من المسلسلات والأفلام المصرية والعربية في هذا السياق؟

يجد المتابع للمشهد أن الخطورة مزدوجة في الظرف المحفوظي الحساس، فقد جرت العادة على أن المسلسلات والأفلام الخاصة بالسير الذاتية، وما أكرها، مثل: إمام الدعاة (الشيخ الشعراوي)، وناصر 56، وأيام السادات، وأم كلثوم، وحليم، أبوضحكة جنان (إسماعيل ياسين)، والشحرة (صباح).

وخلطت هذه الأعمال خفة بين الذاتي والموضوعي، فصبغت الحياتي بشان تقديم محفوظ ككاتب من خلال أعماله، فهي ليست سيرة ذاتية بالمعنى

تأتي الأبناء المتداوله عن اعتراف إطلاق عمل درامي وشيك، يتناول سيرة أديب نوبل نجيب محفوظ، لتعجز مجموعة من القضايا المتشابهة، وتثير من جديد الإشكاليات المتجذرة مثل هذه الأعمال التي تجسد المشاهير العرب، وعلى رأسها التضخيم والمبالغة وإخراج الشخصية محل الاحتفاء من طبيعتها البشرية وقابليتها للتقييم والمراجعة بل والانتقاد.

وتساءلت "العرب" عما إذا كانت أسرة محفوظ تحفظ على تقديم عمل درامي يتناول شخصيته، خوفا من هذا

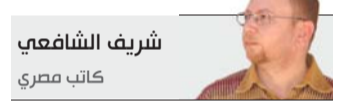
النسب إلى حياته الخاصة، وتشويهها بقصد أو عن غير قصد، وحكت ابنته أن الفنان الراحل أحمد زكي عرض على والدها عمل فيلم سينمائي عن تجربته، لكنه رفض الفكرة "حماية لحياته وحياته أسرته الشخصية"، فمثل هذا الفيلم قد يكون دافعا للخوض في جوانب حياتية تتعلق بالكاتب وأسرته.

خيط الأمل

أكدت أم كلثوم لـ "العرب" أنه في الوقت الحالي، وإن كان التحفظ ذاته لا يزال قائما، فلا مانع من كتابة وإنتاج فيلم أو مسلسل درامي وليس تسجيليا عن نجيب محفوظ، بشرط أن يكون عنه كاتب وأديب في المقام الأول، ثم تأتي الأمور الشخصية كمجرد خلفية. وكانت ابنته الراحلة فاطمة تود كتابة مثل هذا الفيلم، فمحفوظ ليس كاتباً نخويًا كما يشيع البعض، بل هو أديب الناس، وكان في صالوناته الأدبية يخاطب المثقفين والعاديين، ويناقش أمورا أدبية وحياتية ببساطة، وبالتالي يمكن التحدث عنه ومناقشته أعماله وما يتعلق بها ببساطة أيضا، دون إهدار التحليل والتعمق.

تعلق بخيط الأمل في استلهام شخصية محفوظ مجموعة من كتاب السيناريو الأفتين، من أبرزهم عبدالرحيم كمال، الذي يبدو أنه اقرب كثيرا من تحويل الحلم إلى حقيقة، بالتواصل مع أسرة محفوظ للاتفاق على تفاصيل العمل، على أن يتم الاعتماد فيه في المقام الأول على إبداعات محفوظ، وأفكاره، ومضمون كتبه، لتكون السيرة الذاتية مستنبطة فنيا من خلال تلك المؤلفات، وتسربت أنباء حول ترشيح الفنان أحمد حلمي لشخصية محفوظ، بشكل مبدئي.

من هذا المنطلق، يصير ممكنا استشراف قرائن جوهرية توحى بإمكانية استكمال المشروع في هذه المرة، وعدم توقفه مثل المحاولات السابقة التي لم تكمل بالنجاح. على الصعيد الإيجابي، قطع الكاتب شوطا كبيرا في تفاهماته مع ابنة الأديب الراحل، للحصول على موافقة الأسرة، وعلى الصعيد الأدبي الفني، فثمة تقارب واضح بين رؤيتهما بشأن تقديم محفوظ ككاتب من خلال أعماله، فهي ليست سيرة ذاتية بالمعنى



شريف الشافعي
كاتب مصري

تفتتح الإنشاء عن التحضير لعمل درامي عن سيرة حياة نجيب محفوظ، الباب للبحث عن خصوصية تركيبة

الأديب، وإمتداد عمره، وهندسة منظومته، وتنوع أعماله وكتاباته واهتماماته ومذاهبه السردية ومسارات تاوليها، وتعدد أطالعه وحمله أفكاره، وزخم رؤيته الأدبية والفلسفية، وقداصة دائرة علاقاته الأسرية وصدقاته، كلها أمور تجعل الاقتراب من رحلته الإبداعية والإنسانية بالكاميرا مغامرة محفوفة بمخاطر حقيقية، ولعل هذا سبب تأخير هذا المشروع سنوات طويلة.

منذ فترة غير بعيدة، التقى كاتب هذه السطور السيدة أم كلثوم، ابنة أديب العربية الأبرز نجيب محفوظ، عقب تعرض البعض لأسرته، التي ظلت سنوات طويلة بعيدة عن الإعلام، حيث اتهموها بأنها غير راضية عن بعض أعماله الإبداعية مثل "أولاد حارتنا"، وقرن هؤلاء ما أطلقوه من أقوال بارتراد ابنتي محفوظ؛ أم كلثوم والراحلة فاطمة، الحجاب، وأفرطوا في الخوض في أمور شخصية.

أم كلثوم ابنة محفوظ لـ "العرب": لا مانع من إنتاج عمل فني عن أبي الكاتب والأديب وتبقى الأمور العائلية والحياتية بعيدة عن ذلك



أم كلثوم ابنة محفوظ لـ "العرب": لا مانع من إنتاج عمل فني عن أبي الكاتب والأديب وتبقى الأمور العائلية والحياتية بعيدة عن ذلك

وقالت أم كلثوم، وهي غاضبة "والدي رحمه الله كان كاتباً، وأتعجب من هؤلاء الذين يتكلمون أدبه ليتناولوا شؤون أسرته، ويتحدثوا على السنننا، مؤسف حقا، أن يمتد الظلم الذي طال محفوظ وبعض أعماله إلى ما بعد رحيله، ونحس فخرون بكل ما كتب، ونكذب كل ما روجته شلثة المنتفعين".

الكتاب يدرس ظاهرة الجنون من خلال مقاربات أدبية ولسانية نفسية وسوسولوجية وفلسفية، وحتى دينية وقانونية

وفي تقديمه للكتاب، أوضح أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بمراكش، عبداللطيف عادل، أن الكتاب استثمر ما تراكم معرفيا حول خطاب الجنون في التراث العربي الإسلامي وفي الغرب.

وأضاف أنه "باستحضاره للمنجز في هذين السياقين، يكون الكتاب قد قدم تاطيرا علميا متكاملًا لقضاياها، وتمثلا وافيا لم رصده هذان الرافدان الثقافيان". وأشار عادل إلى أن الكتاب يزاوج

في استدعاءاته المعرفية بين الجانبين العربي والغربي، فكما يستحضر قيس بن الملوح وجميل بثينة يستحضر الفيلسوف الهولندي إيراسموس، وكما يستحضر العاشقين العربيين ليلي وورد، ويتطرق إلى العاشقين الغربيين ديمونته وأوفيليا، ويذكر أيضا جبران خليل جبران وميشيل فوكو، وكما يبرز سمات الجنون التي أوردها الخطاب القرآني، ويتابع خطاب الجنون في القانون المقارن.



المجانين أثروا الأدب (لوحة للفنان بسيم الريس)